جحا والحمار

حكايات من الشرق





حكايات من الشرق

جحا والحمار

مكتبة سمير

حكايات من الشرق



- الحسود
- طبخة جحا
- نصائح حمار
- الولد القاضي
- جحا والحمار
- خاتم السلطان
- حميد والمارد
- آخر مقالب جحا
- جحا وهارون الرشيد
- الخروف يصير كلبا ...





سلسلة «حكاياتٌ منَ الشَّرق»

جُحا والحمار



إعداد الدكتور جوزيف أبو نجم

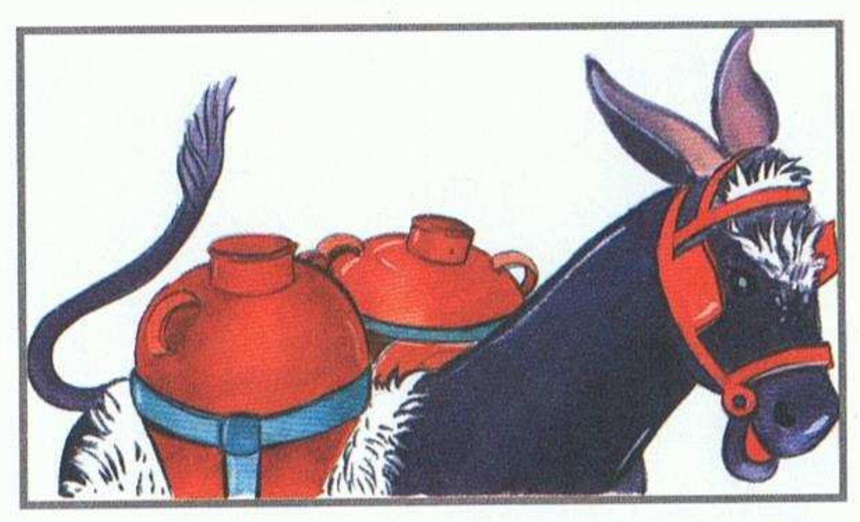




١

كانَ في بَغْداد، أَيّامَ هارون الرَّشيدِ، رَجُلٌ في الْخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ ٱسْمُهُ جُحا، يَعيشُ مَعْ زَوْجَتِهِ فاطِمَة في كوخٍ مَبْنِيٍّ بِأَلْواحٍ خَشَبِيَّةٍ مُهْتَرِئَةٍ وَبَعْضِ سُعُفِ النَّخيلِ. وَلَمْ يَكُنْ جُحا يَمْلِكُ سِوى حِمارٍ رَماديِّ اللَّوْنِ، يَنْقُلُ عَلَيْهِ الْبَضائِعَ طَوالَ النَّهارِ، مِمّا يَدُرُّ عَلَيْهِ بَعْضَ دَراهِمَ تَكادُ لا تَكْفيهِ طَعامًا مَعْ زَوْجَتِهِ.

وَكانَتْ مَدينَةُ بَغْداد مَعْروفَةً بِحَرِّها الشَّديدِ. فَالشَّمْسُ تَضْرِبُها كُلَّ النَّهارِ، وَالنّاسُ لِذٰلِكَ يَعْطَشونَ كَثيرًا. وَلِكَيْ يَشْرَبَ النّاسُ في بَغْداد، كانوا يَذْهَبونَ إلى النَّهْرِ، فَيَمْلأونَ الْجِرارَ وَالْقِرَبَ ماءً، وَيَعودونَ بِها إلى مَنازِلِهِمْ حَيْثُ يَضَعونَها في زاوِيَةٍ لا تَضْرِبُها الشَّمْسُ. أَمّا عِنْدَما يَكونونَ في الطَّريقِ، مُتَنَقِّلينَ بَيْنَ الأَحْياءِ، فَإِنَّ الأَمْرَ مُخْتَلِفٌ؛ إذْ يُصيبُهُمُ الْعَطَشُ مِنْ دونِ أَنْ يَجِدوا ماءً قَريبًا مِنْهُمْ يَرْوي عَطَشَهُمْ.



لٰكِنَّ جُحا وَجَدَ حَلًّا لِهٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ! فَقَدْ رَكَّزَ جَرَّتَيْنِ عَلى جانِبَيْ حِمارِهِ. وَكانَ يَخْرُجُ باكِرًا إلى النَّهْرِ، فَيَمْلأُ الْجَرَّتَيْنِ ماءً ثُمَّ يَسيرُ مُتَنَقِّلًا بَيْنَ أَحْياءِ بَغْداد مُنادِيًا:

– ماءٌ عَذْبٌ! ماءٌ عَذْبٌ! مَنْ يُريدُ أَنْ يَشْرَبَ ماءً بارِدًا عَذْبًا؟

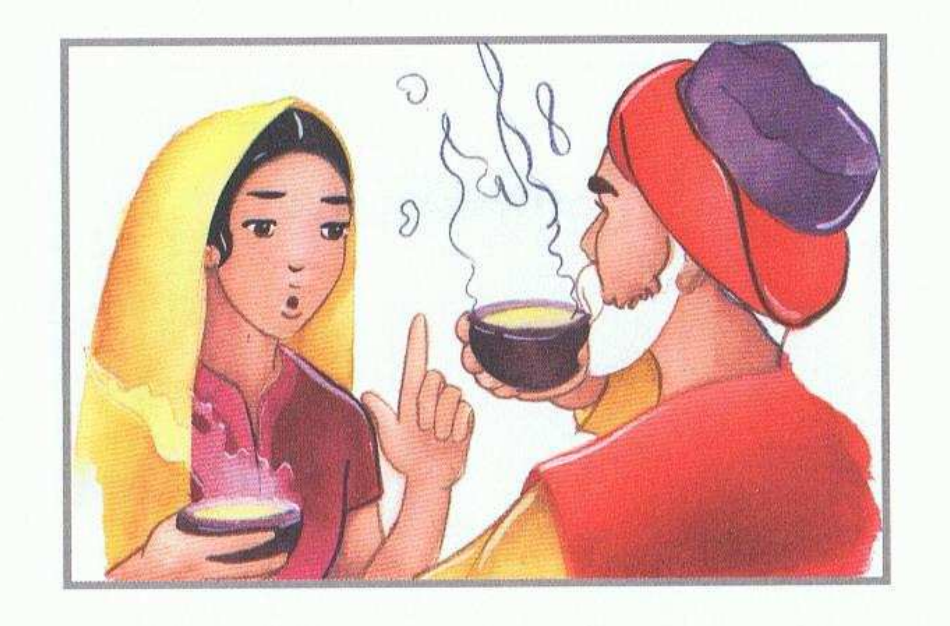
كانَ كُلُّ الْعِطاشِ يَرْكُضونَ صَوْبَ جُحا فَيَمْلأُ لَهُمْ طاساتِهِمْ وَيَشْرَبونَ، شاكِرينَ اللهَ وَجُحا عَلى إِطْفاءِ عَطَشِهِمْ. وَفي الْمُقابِلِ، كانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يُعْطيهِ دِرْهَمًا. لٰكِنْ، سُرْعانَ ما تَفْرَغُ الْجَرَّتانِ، وَكانَ عَلى جُحا أَنْ يَعودَ إلى النَّهْرِ لِيَمْلأَهُما مِنْ جَديدٍ. فَكانَ الْمِسْكينُ يُمْضي وَقْتَهُ مُتَنَقِّلًا بَيْنَ النَّهْرِ وَأَحْياءِ الْمَدينَةِ طَوالَ النَّهارِ. وَفي الْمَساءِ، عِنْدَما يَعودُ إلى كوخِهِ، مَنْهوكَ الْقِوى، كانَ يَرْتَمي عَلى فِراشِهِ وَلا يَلْبَثُ أَنْ يَغُطَّ في نَوْمٍ عَميقٍ، مالِئًا الْكوخَ بِشَخيرِهِ. أَمّا فاطِمَة، فَكانَتْ تُمْضي

نَهارَها في الْبُسْتانِ، تَزْرَعُ الْخُضَرَ وَتَعْتَني بِها، ثُمَّ تَبيعُها لِجيرانِها.

مَعْ مُرورِ الْأَيّامِ، ٱسْتَطاعَ جُحا وَزَوْجَتُهُ، بَعْدَ تَضْحياتٍ كَبيرةٍ، أَنْ يَدَّخِرا بَعْضَ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ؛ فَخَبَّآها لِلْأَيّامِ الصَّعْبَةِ.







٢

ذاتَ مَساءٍ، بَيْنَما كانَ الزَّوْجانِ يَتَعَشَّيانِ بِهُدوءٍ، قالَ جُحا لِزَوْجَتِهِ:

– أَرى، يا زَوْجَتي الْعَزيزَةَ، أَنَّ حِمارَنا قَدْ بَدَأَ يَطْعَنُ في السِّنِّ؛ وَعَمّا قَريبٍ لَنْ يَعودَ في ٱسْتِطاعَتِهِ الْقِيامُ بِالْأَعْمالِ الَّتي نَطْلُبُها مِنْهُ. سَآخُذُهُ إِلى السّوقِ وَأَبيعُهُ، وَأَشْتَري حِمارًا آخَرَ يَكونُ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْهُ وَأَشَدَّ قُوَّةً.

وَلَمّا كانَتْ فاطِمَةُ تَتَحَلّى بِوَعْيٍ وَحُسْنِ إِدْراكٍ لِلْأُمورِ، أَجابَتْهُ عَلى الْفَوْرِ:

– إِيّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ، يا زَوْجي الْعَزيزَ. إِنَّ حِمارَنا ما يَزالُ



قَوِيًّا وَيَسْتَطيعُ أَنْ يَخْدُمَنا سَنواتٍ طَويلَةً بَعْدُ. وَلا تَنْسَ أَنَّهُ، لِكَيْ نَشْتَرِيَ حِمارًا جَديدًا، يَجِبُ أَنْ يَكونَ لَدَيْنا مالٌ وَفيرٌ.

– وَلٰكِنَّنا نَمْلِكُ مالًا، وَالْحَمْدُ للهِ ..!

– نَعَمْ، نَحْنُ نَمْلِكُ مالًا، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ سَبَبًا لِنَصْرِفَهُ مِنْ دونِ فائِدَةٍ. وَما دامَ حِمارُنا يَسْتَطيعُ حَمْلَ الْجَرَّتَيْنِ وَالتَّنَقُّلَ مَعَكَ طَوالَ النَّهارِ فَلَنْ نَبيعَهُ!

لَمْ يَجْرُؤْ جُحا عَلى أَنْ يُجيبَ بِكَلِمَةٍ. إِلّا أَنَّهُ كانَ مُصَمِّمًا عَلى تَحْقيقِ مَشْروعِهِ. فَعِنْدَما نامَتْ زَوْجَتُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، نَهَضَ مِنْ فِراشِهِ وَأَخَذَ الدَّنانيرَ الذَّهَبِيَّةَ الْعَشَرَةَ الَّتي كانَ قَدِ ادَّخَرَها هُوَ وَزَوْجَتُهُ، فَخَبَّأَها في حِزامِهِ؛ ثُمَّ عادَ إِلى فِراشِهِ وَنامَ...

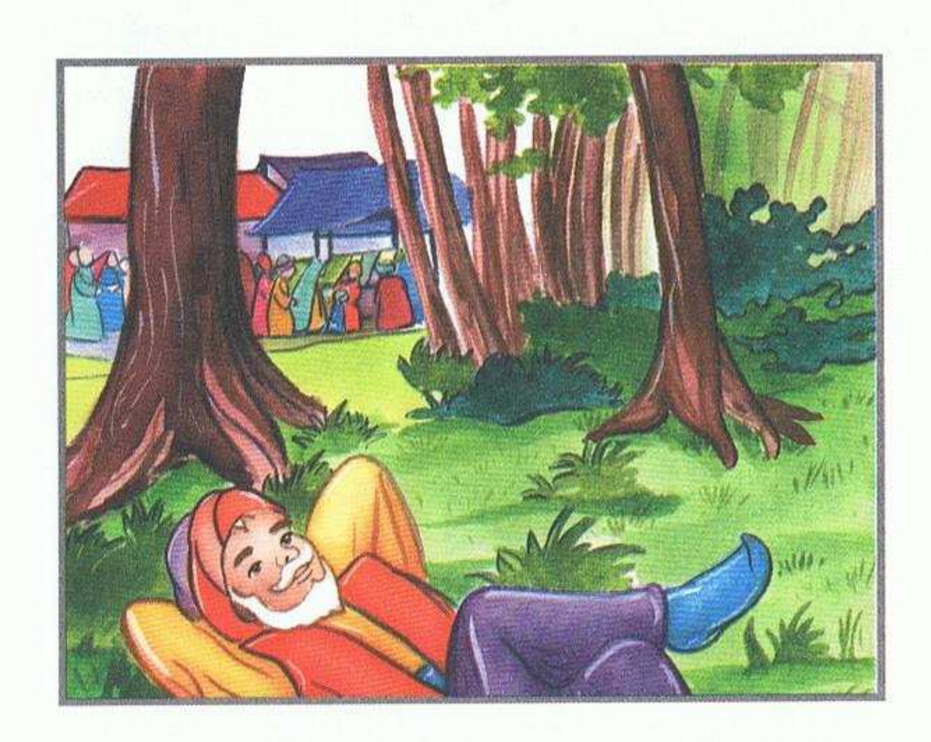
وَفي الصَّباحِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ، كَعادَتِهِ، إِلى النَّهْرِ، سَلَكَ طَريقَ السّوقِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ في مِثْلِ هٰذا النَّهارِ كُلُّ مَنْ يُريدُ بَيْعَ أَوْ شِراءَ حاجَةٍ ما. وَكانَ في السّوقِ بائِعونَ أَتَوْا مِنْ كُلِّ الْمَناطِقِ

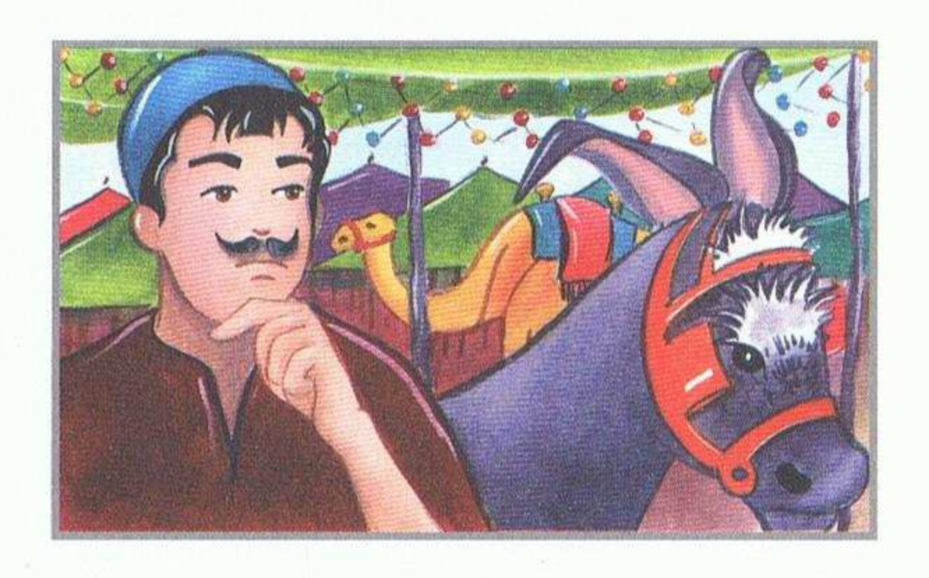
إِلى بَغْداد، بَعْضُهُمْ لِبَيْعِ مَحاصيلِهِمْ، وَبَعْضُهُمُ الْآخَرُ لِشِراءِ أَغْراضٍ لا يَجِدونَها في مَناطِقِهِمْ. مِنْ بَيْنِ هٰؤُلاءِ الْبائِعينَ تُجّارُ ماشِيَةٍ، وَبائِعو أَحْصِنَةٍ وَحَميرٍ...

تَقَدَّمَ جُحا مِنْ أَحَدِ بائِعي الْحَميرِ، وَقالَ لَهُ:

– أَطْلُبُ مِنْكَ، يا صَديقي، أَنْ تَبيعَ لي حِماري. وَأُريدُ أَنْ أَزيدَ بِضْعَةَ دَنانيرَ عَلى ثَمَنِهِ فَأَشْتَرِيَ حِمارًا فَتِيًّا يَكونُ أَقْوى مِنْهُ.

وَلَمّا كانَ هٰذا الْأَمْرُ يُناسِبُ الْبائِعَ، فَقَدْ أَخَذَ الْحِمارَ مِنْ جُحا وَوَضَعَهُ مَعْ رِفاقِهِ الْحَميرِ داخِلَ سِياجٍ مُعَدٍّ لِاسْتِقْبالِ الْماشِيَةِ وَالْحَيَواناتِ الْمَعْروضَةِ لِلْبَيْعِ.

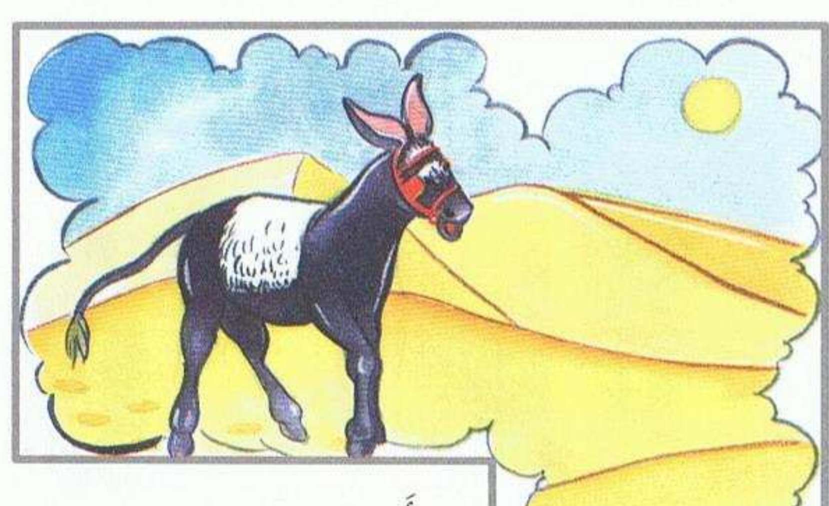




٣

كانَ بائِعُ الْحَميرِ رَجُلًا مُحْتالًا، يَعْرِفُ كَيْفَ يَجْذُبُ زَبائِنَهُ وَيَبيعُهُمْ مِنْ حَميرِهِ، وَإِنْ كانَ الْحِمارُ عَديمَ الْفائِدَةِ. وَقَدْ تَوَصَّلَ إلى بَيْعِ قِسْمٍ كَبيرٍ مِنَ الْحَميرِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهارُ. كانَ بَقِيَ لَدَيْهِ بِضْعَةُ حَميرٍ، مِنْ بَيْنِها حِمارُ جُحا، الَّذي لَمْ يَتَوَقَّفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ أَوْ يَسْأَلْ عَنْهُ. أَمّا جُحا، فَلَمّا سَلَّمَ حِمارَهُ لِلْبائِعِ، ذَهَبَ يَسْتَلْقي في ظِلِّ شَجَرَةٍ قَريبَةٍ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُباعَ حِمارُهُ فَيُناديَهُ الْبائِعُ.

وَأَخيرًا، بيعَتْ كُلُّ الْحَميرِ ما عَدا حِمارَ جُحا. وَلَمّا كانَ الْبائِعُ مُسْتَعْجِلًا لِلْعَوْدَةِ إلى مَنْزِلِهِ، قَرَّرَ بَيْعَ هٰذا الْحِمارِ بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ. فَوَقَفَ عَلى صُنْدوقَةٍ خَشَبِيَّةٍ قُرْبَ الْحِمارِ، وَراحَ يُنادي



بِأَعْلى صَوْتِهِ:

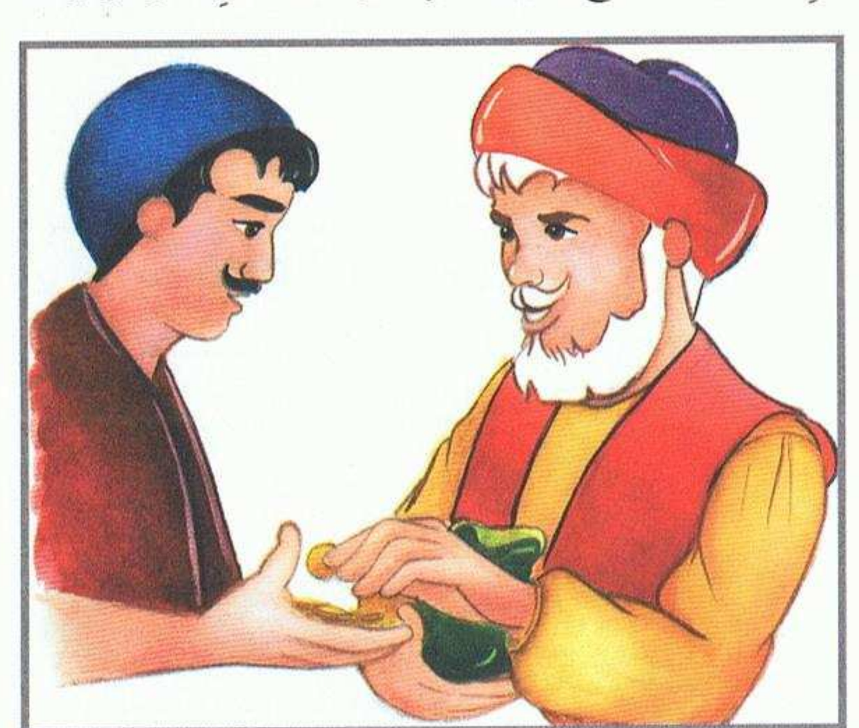
- اِقْتَرِبوا.. اِقْتَرِبوا وَانْظُروا هٰذا الْحِمارَ الْجَميلَ! أَلا تَرَوْنَهُ يَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ الْحَميرِ الَّتي رَأَيْتُمْ في حَياتِكُمْ؟ أُنْظُروا كَمْ يَبْدو ذَكِيًّا، وَفَخورًا بِنَفْسِهِ. أُنْظُروا وَبَرَهُ النّاعِمَ كَالْحَريرِ، وَالْحَيَوِيَّةَ في نَظْرَةِ عَيْنَيْهِ. إِنَّهُ حَيَوانٌ رائِعٌ يَليقُ بِالْأُمَراءِ. آهِ، لَوْ أَسْتَطيعُ الِاحْتِفاظَ بِهِ لَكُنْتُ أَسْعَدَ إِنْسانٍ بَيْنَ النّاسِ!

وَلِلْحالِ تَجَمْهَرَ النّاسُ حَوْلَ الْحِمارِ، يُريدُ كُلُّ واحِدٍ أَنْ يَتَأَمَّلَهُ مِنْ قَريبٍ وَأَنْ يَلْمُسَ وَبَرَهُ الْحَريرِيَّ وَأُذُنَيْهِ الْجَميلَتَيْنِ. وَكانَ جُحا قَدِ اقْتَرَبَ مِنْهُ كَذٰلِكَ، يَتَأَمَّلُهُ بِتَمَعُّنٍ، وَيَرى أَنَّ هٰذا

الْحِمارَ هُوَ، بِالْفِعْلِ، أَجْمَلُ حِمارٍ رَآهُ في حَياتِهِ! وَعادَ الْبائِعُ يُنادي بِأَعْلى صَوْتِهِ قائِلًا:

- إِنَّهُ حِمارٌ قَوِيٌّ جِدًّا. أُنْظُروا قَوائِمَهُ الثّابِتَةَ وَعَضَلاتِهِ الْقَوِيَّةَ وَحَوافِرَهُ اللَّمّاعَةَ؛ لَكَأَنَّها حُفِرَتْ مِنَ الصَّخْرِ! أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّ هٰذا الْحَيَوانَ يَسْتَطيعُ تَسَلُّقَ الْجِبالِ الْوَعِرَةِ وَعُبورَ الصَّحْراءِ، مِنْ دونِ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ أَيُّ أَثَرٍ لِلتَّعَبِ.

كانَ جُحا يَفْتَحُ عَيْنَيْنِ مَبْهورَتَيْنِ، مُرَكِّزًا نَظَرَهُ عَلى الْحِمارِ، يُراقِبُ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزاءِ جِسْمِهِ. وَرَأى أَنَّ كُلَّ ما يَقولُهُ الْبائِعُ عَنِ الْحَيَوانِ صَحيحٌ: فَقَوائِمُهُ ثابِتَةٌ، وَعَضَلاتُهُ قَوِيَّةٌ، وَحَوافِرُهُ...



نَعَمْ... يا لَها مِنْ حَوافِرَ لَمّاعَةٍ كَأَنَّها حُفِرَتْ فِعْلًا في الصَّخْرِ! وَعاوَدَ الْبائِعُ مُناداتَهُ قائِلًا:

- كانَ يَجْدُرُ بِهٰذا الْحِمارِ أَنْ يولَدَ حِصانًا. لَقَدْ رَأَيْتُهُ عِدَّةَ مَرّاتٍ يَخُبُّ عَلى الطُّرُقاتِ. وَكَمْ تَوَقَّفْتُ لِأَتَأَمَّلَهُ! صَدِّقوني، إِنَّ هٰذا الْحِمارَ هُوَ الْأَذْكى وَالْأَجْمَلُ، وَعَلى الْأَخَصِّ الْأَسْرَعُ في كُلِّ الْبَلَدِ. أَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْكُمْ يَحْلُمُ بِالْحُصولِ عَلى حَيَوانٍ مِثْلِ هٰذا!

راحَ النّاسُ يَتَحَدَّثونَ عَنْ هٰذا الْحَيَوانِ الرّائِعِ. فَكانَ بِإِمْكانِ جُحا أَنْ يَسْمَعَ كُلَّ عِباراتِ الْإِعْجابِ الَّتي يَقولُها النّاسُ. وَلَمْ يَبْقَ شَخْصٌ مِنْ دونِ أَنْ يَمْدَحَ الْحِمارَ الْمُدْهِشَ.

وَأَخيرًا، خَرَجَ مِنْ بَيْنِ النّاسِ رَجُلٌ ذو لِحْيَةٍ سَوْداءَ، وَسَأَلَ الْبائِعَ، مِنْ دونِ أَنْ تُفارِقَ عَيْناهُ الْحِمارَ:

- ماذا تَطْلُبُ ثَمَنًا لِهٰذا الْحِمارِ الْمُدْهِشِ؟

- ثَلاثَةَ دَنانيرَ...

وَكانَ هٰذا ثَمَنَ حِمارٍ عادِيٍّ. إِلّا أَنَّ جُحا لَمْ يَرْضَ بِأَنْ يُباعَ حِمارٌ رائِعٌ كَهٰذا بِثَلاثَةِ دَنانيرَ فَقَطْ! فَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ:

- أَنا أَدْفَعُ أَرْبَعَةَ دَنانيرَ ثَمَنًا لَهُ!

فَنادى الْبائِعُ:

- مَنْ يَزيدُ عَلى أَرْبَعَةِ دَنانيرَ؟

فَصاحَ أَحَدُهُمْ: خَمْسَةً ..

- سِتَّةً... قالَ جُحا.

- سَبْعَةً... قال الرَّجُلُ الْمُلْتَحي.

- ثَمانِيَةً... قالَ جُحا.

- تِسْعَةً.. وَلَنْ أَزيدَ، قالَ الرَّجُلُ الْمُلْتَحي.

- عَشَرَةَ دَنانيرَ.. قالَ جُحا بِصَوْتٍ يَمْلَأُهُ الْفَخْرُ...

فَسادَ سُكوتٌ عَميقٌ كُلَّ الْحاضِرينَ. وَراحَ الْجَميعُ يَنْظُرونَ إلى جُحا بِتَعَجُّبٍ. فَنادى الْبائِعُ:

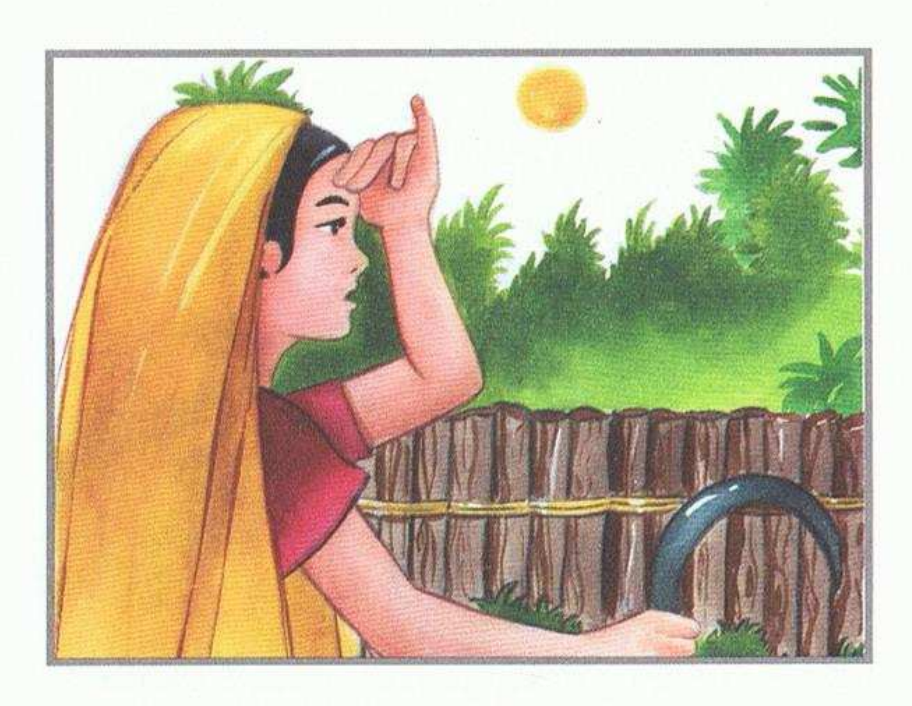
- مَنْ يَزيدُ عَلَيْهِ؟

وَلَمّا لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ، صَرَخَ:

- لَقَدْ بِعْتُكَ الْحِمارَ. اِقْتَرِبْ وَسَلِّمْني الدَّنانيرَ الْعَشَرَةَ...

فَأَسْرَعَ جُحا وَدَفَعَ ثَمَنَ حِمارِهِ لِلْبائِعِ! ثُمَّ رَكِبَهُ وَسَلَكَ طَريقَ الْعَوْدَةِ، وَعَلى وَجْهِهِ ٱبْتِسامَةُ رِضًى.





٤

كانَتْ فاطِمَةُ تَعْمَلُ، كَعادَتِها، في الْبُسْتانِ عِنْدَما رَأَتْ زَوْجَها، عَلى غَيْرِ عادَتِهِ، يَعودُ باكِرًا إلى الْمَنْزِلِ. فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ، وَقالَتْ لَهُ:

- ما بِكَ يا زَوْجي الْعَزيزَ؟ ما زالَتِ الشَّمْسُ عالِيَةً في السَّماءِ. لِماذا عُدْتَ باكِرًا الْيَوْمَ؟

فَأَجابَها جُحا:

- أُتْرُكي عَمَلَكِ، وَتَأَمَّلي هٰذا الْحِمارَ الرّائِعَ الَّذي ٱشْتَرَيْتُهُ!

فَراحَتْ فاطِمَةُ تُنَقِّلُ نَظَرَها، حائِرَةً وَمُنْدَهِشَةً، بَيْنَ زَوْجِها وَالْحِمارِ! ثُمَّ سَأَلَتْ زَوْجَها:

- إذا كُنْتَ ٱشْتَرَيْتَ حِمارًا جَديدًا.. فَأَيْنَ هُوَ؟!

- إنَّني راكِبٌ عَلَيْهِ.. أَلا تَرَيْنَهُ؟

فَبَدَتِ الْمَرْأَةُ مُنْدَهِشَةً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، وَقالَتْ:

- بَلى، أَنا أَراهُ. وَلٰكِنَّ هٰذا الْحِمارَ الَّذي أَراهُ لَيْسَ جَديدًا، بَلْ كانَ دائِمًا عِنْدَنا: إِنَّهُ حِمارُنا!

فَقَفَزَ جُحا عَنِ الْحِمارِ، وَٱقْتَرَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ، وَقالَ لَها:

- يا فاطِمَةُ، لَقَدْ كُنْتِ دائِمًا ٱمْرَأَةً ساذَجَةً وَعَنيدَةً. هَيّا.. كوني ذَكِيَّةً وَلَوْ لِمَرَّةٍ، وَٱنْظُري جَيِّدًا إلى هٰذا الْحِمارِ. أَلَمْ أُوَفَّقْ في شِرائِهِ؟

فَعاوَدَتْ فاطِمَةُ تَأَمُّلَ الْحِمارِ بِعِنايَةٍ، وَقالَتْ:



- إِنَّكَ، وَلا شَكَّ، تَهْزَأُ بي. كُفَّ عَنْ ذٰلِكَ. هٰذا حِمارُنا، وَقَدْ كانَ عِنْدَنا مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ، فَكَيْفَ تَقولُ إِنَّكَ ٱشْتَرَيْتَهُ الْيَوْمَ؟!

- نَعَمْ، هٰذا الْحِمارُ كانَ لَنا.. وَلٰكِنَّني بِعْتُهُ هٰذا الصَّباحَ، ثُمَّ عُدْتُ فَٱشْتَرَيْتُهُ مِنْ جَديدٍ...

وَلَمّا لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ تَفْهَمُ ما يَقولُهُ زَوْجُها، راحَ جُحا يَشْرَحُ

لَها بِالتَّفْصيلِ كُلَّ ما حَصَلَ مَعَهُ مُنْذُ الصَّباحِ. فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ:

- قُلْتَ إِنَّكَ خَرَجْتَ صَباحًا، وَمَعَكَ دَنانيرُنا الْعَشَرَةُ في حِزامِكَ. أَيْنَ هِيَ الدَّنانيرُ الْآنَ؟

- لَقَدْ دَفَعْتُها إلى الْبائِعِ ثَمَنًا لِلْحِمارِ الَّذي ٱشْتَرَيْتُهُ مِنْهُ!

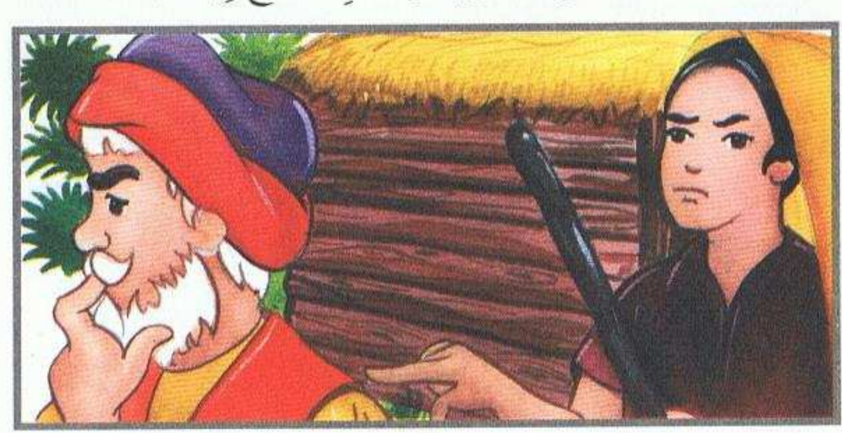
- وَلٰكِنَّ الْحِمارَ هُوَ لَكَ، أَيُّها الْغَبِيُّ! لَقَدْ قُلْتَ لي إِنَّكَ بِعْتَهُ بِعَشَرَةِ دَنانيرَ ثُمَّ ٱشْتَرَيْتَهُ بِعَشَرَةٍ.. فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَ قِرْشًا! يا لَكَ مِنْ مُغَفَّلٍ!

جَمَدَ جُحا في مَكانِهِ مَدْهوشًا أَمامَ رَأْيِ زَوْجَتِهِ الْمَنْطِقِيِّ. ثُمَّ قَطَّبَ حاجِبَيْهِ، وَراحَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ مِنْ دونِ أَنْ يَتَوَصَّلَ إلى فَهْمِ ما قالَتْهُ زَوْجَتُهُ... فَصاحَتْ فاطِمَةُ بِهِ:

- ماذا تَنْتَظِرُ لِتَعودَ إلى السّوقِ وَتُطالِبَ الْبائِعَ بِالْمالِ الَّذي سَرَقَهُ مِنْكَ؟

وَلَمّا رَأَتْهُ لا يَتَحَرَّكُ، أَمْسَكَتْ بِالْعَصى، وَصَرَخَتْ بِهِ:

- اِنْطَلِقْ فَوْرًا إلى السّوقِ، وَطالِبِ الْبائِعَ بِإِعادَةِ مالِكَ! هَيّا



أَسْرِعْ، وَإِلّا ذُقْتَ طَعْمَ هٰذِهِ الْعَصا...

كانَ جُحا يَخْشى غَضَبَ زَوْجَتِهِ، فَرَكِبَ حِمارَهُ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ السّوقِ. وَفي الطَّريقِ راحَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ:

– لَسْتُ أَفْهَمُ لِماذا تُصِرُّ زَوْجَتي عَلى أَنْ أَسْتَعيدَ الدَّنانيرَ الْعَشَرَةَ! لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَشْتَرِيَ حِمارًا رائِعًا مِنْ دونِ أَنْ أَدْفَعَ ثَمَنَهُ..!

وَبَعْدَ مَسافَةٍ تَوَقَّفَ، وَنَزَلَ عَنْ حِمارِهِ، وَقالَ:

– ماذا سَيَقولُ لِيَ الْبائِعُ عِنْدَما أُطالِبُهُ بِالْمالِ؟ سَوْفَ يَسْخَرُ مِنّي، وَيَضْرِبُني بِالْعَصا وَيَطْرُدُني..

وَبَقِيَ بَعْضَ الْوَقْتِ ساهِمًا، يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ. ثُمَّ رَكِبَ حِمارَهُ وَتَوَجَّهَ إِلى السّوقِ، قائِلًا:

– إِنَّ ضَرَباتِ الْبائِعِ لَنْ تُوجِعَني مِثْلَ ضَرَباتِ زَوْجَتي! فَلْأُقابِلِ الرَّجُلَ. رُبَّما أَعْطاني تَفْسيراتٍ تُقْنِعُ زَوْجَتي، وَتَجْعَلُها تَعْدِلُ عَنْ رَأْيِها.

وَلَمّا وَصَلَ إِلى السّوقِ، لَمْ يَجِدْ أَيَّ أَثَرٍ لِلْبائِعِ الَّذي عادَ إِلى بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ باعَ كُلَّ حَميرِهِ. فَقالَ جُحا في نَفْسِهِ:

– الْحَمْدُ للهِ، لَقَدْ نَجَوْتُ مِنْ مُشْكِلَةٍ كَبيرَةٍ.. أَشْكُرُ اللهَ عَلى سَلامَتي..!



جحا والحمار

حكايات من الشرق



